معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 16/ العدد 2 (ديسمبر 2021): ص.ص: 948-967

حصن واد البارد بمنطقة امشدالة، تحفة معمارية تصارع من أجل البقاء

The Wad Al-Bared fortress in the area M'Chedallah Is an architectural masterpiece that struggles for survival

د. ذهبية محمودي*

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، dehbia.mahmoudi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/31؛ تاريخ القبول: 2021/09/27؛ تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

حصن واد البارد، أحد المعالم العسكرية التي تزخر بها منطقة امشدالة، بني نهاية الفترة العثمانية، لأسباب أمنية، لم يخضع لأي دراسة تاريخية أو أثرية، بغرض استقراء الحياة السياسية بالمنطقة وتثمينه كتراث ثقافي مادي، ولذلك من خلال هذه الورقة البحثية، سيتم دراسته دراسة تاريخية وأثرية، مبرزين مميزاته من حيث المخطط وتكويناته المعمارية، التي جعلته تحفة معمارية هامة، تؤرخ لهذا النوع من المعالم بالمنطقة، مما استوجب لفت انتباه السلطات المحلية والوطنية على حد سواء، لتصنيفه ضمن القائمة الوطنية للتراث الثقافي المادي، وإخضاعه لعملية ترميمية تطيل من بقائه، لأنه حاليا يصارع من أجل البقاء.

الكلمات المفتاحية: منطقة امشدالة؛ العمارة العسكرية؛ حصن واد البارد.

Abstract

The fortress of Oued Al-Bared, one of the military landmarks in the M'chadallah region, between the end of the Ottoman period, for security reasons, did not undergo any historical or archaeological study, with the aim of extrapolating the political life in the region and valuing it as a material cultural heritage, and therefore through this research paper, a historical study will be studied. And archaeological sites, highlighting its features in terms of the plan and its architectural formations, which made it an important architectural masterpiece,

* المؤلف المرسل.

chronicling this type of landmark in the region, which necessitated drawing the attention of local and national authorities alike, to classify it within the national list of material cultural heritage, and subject it to a restoration process that prolongs its survival

Key words: M'chadallah; Military Architecture; Oued Al-Bared Fort.

المقدمة:

من العمائر التي لم تدخر الدولة العثمانية جهدا في إنشائها عند دخولها البلاد، هو تحصين المنطقة للتصدي لهجمات الأعداء، ويبرز ذلك جليا في إقامة الأبراج والحصون، التي جاءت على نوعين، منها المتصلة، أي تكون ملتصقة بالأسوار، و التي تحيط بالمدينة أو القصبة، حيث تتوزع عبر الجدار على مسافات معينة، ومنها المنفصلة أي منفردة، وعادة ما نجد هذا النوع من الحصون في السواحل عند رؤوس الخلجان، ومنها التي أنشأت في المناطق الداخلية، وهذا النوع الأخير غالبا ما يحتوي على المرافق الضرورية لمعيشة الجنود المعتصمين هناك ك:غرف النوم، ومصلى، وإسطبلات، ومخازن لحفظ المئونة والبارود، بئر أو خزان للمياه، ولهذه الأبراج أشكال متعددة، أي تختلف من حيث المخططات، فمنها التي أقيمت على شكل مثمن كبرج تامنفوست، ومنها النجمية كبرج النجمة بالجزائر العاصمة والمستطيلة كبرج مولاي حسن والمربعة كبرج الحراش[1].

لقد كان لمنطقة البويرة في العهد العثماني بحكم موقعها على الطريق الرابط بين مركز الدولة في مدينة الجزائر ومركز بايلك الشرق في قسنطينة، وموقعها بين مركز الحكومة في مدينة الجزائر ومقر بايلك التيطري عبر برج حمزة، أهمية كبيرة، أمنية وسياسية فكانت أهمية توفير الأمن والاستقرار وتحصيل الجباية ومراقبة تحركات الأفراد و القبائل وإفشال تمردات هذه الأخيرة والقضاء على شغبها، مسؤولية جمة ملقاة على عاتق قياد الأوطان في الولايــة وشيوخ القبــائل وأغاوات أبراجها، ومن هنا جاءت أهمية الأبراج والحصون التي أقيمت في الولاية كبرجي "سور الغزلان" و"حمزة"، وأطرافها المجاورة كبوغني وسباو ويسر[2].

(1) - ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص297.

(2) - نفسه، ص279.

وحصن واد البارد واحد من هذه المعالم العسكرية، التي لا تزال تحافظ على جل وحداتها المعمارية، تم اكتشاف هذا الحصن سنة 2006م، عندما هممت بدراسة ميدانية لمعالم ولاية البويرة، ضمن مشروع رسالة الدكتوراه، وذلك من خلال تنقلاتي الى منطقة امشدالة، حيث دلني عليه أحد المواطنين بالمنطقة.

عندما قمت بزيارته، اندهشت لوجود هذا المعلم الهام، الذي تجاهلته كل الدراسات الأثرية، واعتبرته كنزا من كنوز منطقة امشدالة، فقررت أن أسلط عليه الضوء من خلال دراسته دراسة ميدانية لإبراز أهميته التاريخية والأثرية

ولتوصل الى النتائج المرجوة من هذه الورقة البحثية، طرحت الاشكالية التالية:

هل حصن واد البارد، من العمارة العسكرية العثمانية؟وهل مخططه العام ووحداته المعمارية تؤكد ذلك؟وإذا كان كذلك فماهي مميزاته وأهميته التاريخية والأثرية في عملية التأريخ لهذا النوع من العمارة بمنطقة امشدالة بصفة خاصة، ,وولاية البويرة بصفة عامة؟

وللإجابة على الاشكالية المطروحة، استعنت بمنهجين هامين في هكذا دراسات هما:المنهج التاريخي، بغرض معرفة تاريخ هذا المعلم الهام المرتبط بتاريخ المنطقة خلال الفترة العثمانية، والمنهج الوصفي، بغرض دراسته دراسة أثرية نقف من خلالها على المخطط العام للحصن، وكذا مميزاته المعمارية والفنية.

-الموقع الجغرافي لحصن واد البارد:

يقع الحصن العثماني في منطقة واد البارد، إحدى قرى بلدية امشدالة التي تبعد عن مركزها بحوالي 10كم من الجهة الجنوبية الغربية، في حين تبعد دائرة امشدالة عن مركز ولاية البويرة ب 43 كلم شرقا.

يحتل البرج سهل استراتيجي الموقع، بحيث يستطيع مراقبة كل المنطقة المحيطة بالبرج دون عناء، يحد هذا البرج من الجهات الأربع فائض أرض صالح للزراعة، بني في الجهة الغربية للبرج مسكن بمواصفات عصرية يبعد عن البرج بحوالي 3م، ونفس الشيء بالنسبة للجهة الشرقية.

البرج ملك للسيدة "عيساوي حجيلة" بعد حيازتها له سنة 1970م، حيث انتقلت

ملكيته من زوجها الفرنسي المدعو "موريس" الذي احتله أثناء تواجد المستدمر الفرنسي[1].

لمحة تاريخية عن الحصن:

حسب الروايات الشفوية التي استقيناها من قاطني المنطقة، البرج عمره تجاوز القرنين والنصف، غير أنه لازال يحافظ على جل عناصره المعمارية التي توحي بأنه يعود إلى العهد العثماني، مع إحداث بعض التغيرات من طرف الفرنسيين، خاصة على مستوى سقوف معظم الغرف المكونة لهذا الحصن، يطلق اسم "الزازن" على المكان الذي يوجد به البرج.

الوصف الأثـــري:

البرج يظهر ككتلة واحدة متكاملة، يحتل مساحة مربعة تقدر ب.338.56م^{2}وزعت عليها مكونات البرج بإحكام دقيق، عمد فيها المعمار إلى استعمال تقنية التناظر، حيث نلاحـظ مبنى متكامـل زود بغـرفتين للحراســة فـي الجهتـين الشــمالية والجنوبيــة (الصورة:01)، (المخطط:01 ، 02)، (الشكل:01).

تقع الواجهة الرئيسية في الجهة الشرقية، حيث نلج إلى صحن البرج بواسطة مدخل عرضه 1.66م وارتفاعه 2.40م، إطاريه عبارة عن دعامتين مربعتين سمكهما 62سم متوجتين بهرم متدرج يبلغ 64سم أضفى على المدخل صورة جمالية متميزة، المسافة الممتدة على حافتي الباب عبارة عن جزء من سور طوله 3.90م وارتفاعه حوالي1 م سيجت المساحة العليا حتى نهاية ارتفاع الباب بقضبان حديدية من وضع الفرنسيين الذين أعادوا استغلال هذا البرج (الصورة:12).

أما باقي المساحة على الجانبين، والتي تبلغ 3.20م فهي جدران الغرفتين الموجودتين بالبرج.

عندما نلج إلى البرج نلاحظ في الجهة اليمنى على بعد 4م عن المدخل وجود غرفة مستطيلة طولها 10م وعرضها حوالي 5م، المدخل معقود يتوسط الجدار الجنوبي

(1) - اطلعنا على بعض الوثائق الخاصة بالسيدة "عيساوي حجيلة" أثناء زيارتنا الميدانية للحصن بتاريخ 19/نوفمبر/2009م

للغرفة ارتفاعه 2.50م وعرضه حوالي 1م، يوجد في زاوية الجدار الشرقي تجويف معقود بعقد حدوي طوله 2.20م وعرضه حوالي 1م، يشبه محراب المسجد خاصة وانه وضع في القبلة، ربما كانت تستعمل هذه الغرفة كمصلى في الحصن (الصورة: 04)، يلي هذه الغرفة غرفة أخرى نلجها عبر مدخل معقود له نفس المقاييس مع مدخل الغرفة المحاذية وهي غرفة مستطيلة الشكل طولها 4.25م وعرضها 4م، كما لاحظنا وجود نافذة معقودة على يمين مدخل الغرفة.

الجدير بالذكر أن الغرفة الأولى سقفها منهار. أما الغرفة الثانية فسقفها في حالة جيدة من الحفظ وهو عبارة عن نسيج من الألواح الخشبية المبلطة بمادة الجص.

على يسار المدخل الرئيسي يوجد نفس المرافق التي تبعد عن الأولى بحوالي 10.7م، الفرق الوحيد هو أن الغرفة الأولى الموجودة على يسار المدخل، سقفها عبارة عن أعمدة خشبية، كما يوجد في الجدار الشمالي للغرفة تجويف مربع طول ضلعه حوالي 1م وعمقه 30سم، في حين سقف الغرفة من الخارج غطي بمادة القرميد ذو الشكل نصف أسطواني على شكل هرمي.

يتقدم الغرفة السابقة الذكر موقدا مبنيا بمادة الآجر المختلف المقاييس يتألف من كتلتين، الكتلة الأولى عبارة عن دعامتين طولهما 1.60م، بني عليهما جدار منحرف في الجهة الجنوبية، طوله 1.30م، في حين البعد بين الدعامتين بلغ حوالي 1.42م كون مع الغرفة السالفة الذكر تجويف ينتقل من خلاله دخان الموقد إلى الخارج، وبمحاذاة الدعامة الثانية باتجاه الشرق بني موقد أسطواني الشكل، و باب معقود ارتفاعه نصف ارتفاع الدعامة التي أدمج بدنها بالموقد، بلغ عرضه أي عرض الموقد 77سم، أما سمك حافة المدخل فبلغ 23سم، في حين بلغت فتحة الموقد:العرض 42سم، والارتفاع 36سم (الصورة: 15).

بني الموقد بطريقة هندسية جميلة، محيطه عبارة عن نتوء بنائي من مادة الآجر يحصر مساحة مربعة لوضع مادة الحطب.

الجهة الجنوبية للحوش عبارة عن بائكة، تتألف من خمسة عقود، تحصر بينها وبين المرافق التي تليها رواقا طوله 11م وعرضه3.10م، المساحة المحصورة بين كل عمودين تبلغ 1.80م، أما العمود فهو ذو شكل ثماني الأضلاع، كل ضلع عرضه حوالي

12سم، أي محيط العمود حوالي 96سم، قاعدته مربعة الشكل، وسمكها 36سم وطول الجذع 1.38م، في حين بلغ طول التاج 20سم.

أما العقد فطوله حوالي 2م، الجدير بالذكر أن هذه العقود حاليا مسدودة بمواد حديثة للبناء والفراغ المتبقي من العقد سيج بقضبان حديدية، سقف الرواق عبارة عن أعمدة خشبية مبلطة بمادة الجص، ينتهي الرواق من الجهتين الشمالية والجنوبية بغرفتين:

الغرفة الشمالية:

غرفة مستطيلة الشكل، طولها 5م وعرضها 3.10م، مدخلها معقود بعقد منكسر، نفس المقاييس بالنسبة للغرفة المقابلة لها التي تبعد عنها ب 11م، حيث زودت هذه الأخيرة بكتلتين عبارة عن درج خشبي، كل كتلة تتألف من 08درجات، يؤديان إلى السطح عبر مدخل مبني بالخشب واضح المعالم على السطح مدعوم بجدار آخر مبني بمادة الآجر المصقول (الصورة: 06، 08).

الغرفة الغربية:

في حالة جيدة من الحفظ لا تزال تحافظ على عناصر معمارية هامة من بينها المدخل الذي يتكون من مصراعين خشبيين معقودين وبابين معقودين أيضا، نصفهما العلوي مزدان بأشكال زجاجية ملونة (أزرق غامق، أحمر غامق) مؤطر بأطر خشبية ذات أشكال هندسية مختلفة، يبلغ عرض هذا المدخل 1.38م و ارتفاعه 2.25م، نلج من خلاله إلى غرفة مستطيلة الشكل طولها 7.20م وعرضها 5.20م الجدار المقابل للمدخل مزدان بنافذتين معقودتين، إحداهما سدت بمواد بناء حديثة، غير أن آثارها ظاهرة للعيان.(الصورة:10، 09)

أما على يمين ويسار المدخل، فتح نافذتين معقودتين تبعد كل واحدة عن المدخل ب1.08م، ارتفاع كل نافذة 2م وعرضها 79سم.

بلطت أرضية الرواق والغرفتين المتقابلتين والغرفة التي تتوسطهما ببلاط سداسي الشكل(اللوحة:01)، طول كل ضلع 6سم ذي لون بني، بمحاذاة الغرفة الغربية فتح باب معقود ارتفاعه 2.30م وعرضه 93سم يوصل إلى غرفة مستطيلة الشكل طولها 6.5م

وعرضها5م ينحرف الجدار الغربي بحوالي 2م، مقابل باب الغرفة، فتحت نافذة معقودة كباب رئيسي أصبح اليوم هو المدخل الرئيسي لقاطني الحصن، ارتفاعه 1.58م وعرضه 83سم لنصل من خلاله إلى الواجهة الغربية للحصن المزدانة ببرجين في الجهتين الشمالية والجنوبية .

برجا المراقبة:

زود الحصن ببرجين في الجهتين الشمالية والجنوبية، تخطيطهما الهندسي رباعي الأضلاع، يتكون من طابقين، كل طابق عبارة عن غرفة يفصل بينهما إفريز مستطيل الشكل، في حين ينتهي سطح الغرفة العليا بشرفات ذات أشكال هندسية قوامها مثلثات، من الداخل الغرف ذات شكل مربع، فالغرفة الأرضية طول ضلعها حوالي3م وزعت على جدرانها خمسة مزاغل بمعدل مزغلين في كل جدار والجدار المحاذي للجدار الذي فتح به المدخل وجد به مزغل واحد، يبلغ ارتفاع كل مزغل 60سم والعرض 40سم والعمق 32سم(الصورة:05، 03).

أما الغرفة الثانية (العليا)فلها نفس المقاييس مع الغرفة الأرضية، الفرق الوحيد يكمن في مكان المزغل الوحيد الموجود في الجدار المحاذي للمدخل، حيث فتح بدله نافذة معقودة .(الصورة:13، 12)

السطح:

السطح يتخذ شكل**U**، الغرفتين العلويتين للبرجين الموجودين في الجهتين الشمالية والجنوبية مدخلهما في مستوى واحد مع السطح، الواجهة الشرقية للسطح نلاحظ بروز قواعد الدعامات مربعة مبنية بالآجر المصقول، سمكها حوالي 30سم وارتفاعها 70سم وهي امتداد لأعمدة البائكة الموجودة في البرج، حيث زينت المساحة المحصورة بين كل دعامتين بأشكال تشبه حرف X مشكلة من الآجر المصقول، أطرت هذه الأشكال بقضبان من الاسمنت، أما باقي المساحة من محيط السطح فشكلت على نمط الأشكال التي وجدت في نهاية كلا غرفتي المراقبة، مكونة شرفات ذات أشكال هندسية قوامها مثلثات متساوية الأضلاع، بنيت بالآجر المصقول على نتوء بنائي بلغ ارتفاعه حوالي 70سم(الصورة:11)، لفت انتباهنا خارج المبنى في نهاية الواجهة الغربية بقايا جدار لازال يتوسطه باب خشبي، بني هذا الجدار بالحجارة المختلفة الأشكال والأحجام حسب

الروايات الشفوية قبل أن يتم تدمير مرافق عديدة من الحصن(اللوحة:02)، كان بالحصن ما يسمى اليوم بالمحلات التجارية مما جعلنا نرجح أن يكون هذا الحصن عبارة عن قصبة صغيرة.

تنوعت مواد البناء، حيث أستعمل الآجر المصقول بشكل لافت للانتباه، ربما لوفرة هذه المادة في تلك المنطقة، فالآجر المستعمل طوله 25سم، وعرضه 12سم وسمكه 4سم.

بنيت جدران الواجهات الرئيسية للصحن بمادة الحجر المختلفة الأشكال والأحجام مخلوطة بقطع من الآجر.

أما حواف النوافذ والأبواب والعقود والأعمدة، فبنيت بالآجر حيث وجد ثلاث أنواع من الآجر:

- آجر ذو المقاييس التالية 25، 12، 4 بنيت به الدعامات والأعمدة.

- آجر ذو المقاييس التالية 25، 24، 4 بنيت به جدران الغرف.

استعملت مادة الخشب في صنع الأبواب والنوافذ والسقوف، واستعمل القرميد ذو الشكل نصف اسطواني في تسقيف بعض من أجزاء البرج.

التحليل المعماري:

يمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر، ويعكس ذلك بوضوح دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ((رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات))[1]، فسبق الدعاء بالأمان الدعوة بطلب الرزق سببا يؤكد هذه الأهمية، وانطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة، أعتبر السور من المعايير الحضارية التي تميز المدن، وعليه اعتبر الإسلام بناء الأسوار والأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام، حيث أوقفت عليها الحبوس لترميمها وتقويتها [2]، كما تعتبر عملية اختيار المواضع لبناء

(1) - القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 126.

(2) - محمد عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص ص121- 122.

المدن مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحصانة الطبيعية للموقع، كاستدارة نهر أو بحر أو على جبل، إضافة إلى الحصانة الإنشائية، حيث يقول ابن أبي الربيع ((أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة...))[1] وجاء أيضا على لسان ابن الربيع ((أن أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء، نهر جاري و محرث طيب، وحطب قريب وسور حصين وسلطان قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها))[2].

لقد اختلفت الإنشاءات الحربية باختلاف مواقع المدن، فمنها ما استدعى إنشاء قلعة تحميها على تل قريب لوقوع المدينة في واد منخفض كحلب، ومن المدن ما استدعى إنشاء المحارس والنواظر لمراقبة السواحل التي قد يهاجم منها الأعداء هذه المدن كمدن الثغور الإسلامية في الشام وبعض مدن ساحل الشمال الإفريقي، في حين بعض المدن استلزمت إنشاء الخنادق والأسوار كمدينة واسط وبغداد والقاهرة والمهدية وغيرها وفي الغالب الأعم كان السور أهم الإنشاءات الحربية التي ميزت المدن الإسلامية[3]، ومنطقة البويرة(مدينة حمزة) منذ نشأتها توفرت فيها التحصينات اللازمة كالسور والخندق، هذا ما أكده البكري في قوله((...حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة))[4]، ولكن للأسف لم نعثر لحد الآن على آثار السور لتبقى هذه المعطيات مقيدة تاريخيا إلى أن يتم الكشف عنها أثريا، كما حدث مؤخرا بمدينة مرسى الدجاج التي تم إماطة اللثام عن بعض أجزائها عن طريق حفرية منظمة من طرف مديرية الثقافة لولاية بومرداس خلال سنة 2009م[5].

السور:

من الوسائل الدفاعية التي غلبت على العمران الإسلامي، التي اهتم الحكام بتشييدها حماية لمدنهم ودفاعا عن أملاكهم، حيث يحيط بالمدينة كليا في المدن التي

(1) - ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م، ص ص 107- 108.

(2) - عبد الأحد السيتي، حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص18.

(3) - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص123.

(4) - البكري، المصدر السابق، ص ص64- 65.

(5) - عبد الأحد السيتي، حليمة فرحات، المرجع السابق، ص18.

تبنى في السهول والوديان أو يحيط بها جزئيا، كما هو الحال بالمدن التي تبنى في المناطق الجبلية، غالبا ما تستند على جبل عال أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها وحتى يحقق السور الدفاع الايجابي، صمم أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن الجند المدافعين من تأدية عملهم بمستوى عال ويحقق لهم في ذات الوقت رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع[1] يكون سمك السور وارتفاعه مناسبا لموقع المدينة فلذلك فهو يختلف من مدينة إلى أخرى، كما يدعم بأبراج متنوعة منها :المربع، المستطيل، نصف الدائرة وثلاثة أرباع الدائرة على مسافات محددة تتراوح ما بين 15-40م، وتتميز الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور وكذلك يحتوي السور على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها والسقاطات وغيرها من العناصر الدفاعية، نجد أمثال للسور الذي يحيط بالمدينة في العمران العسكري للحماديين اللذين أحاطوا مدنهم بأسوار منيعة بنيت بالحجر ليأخذ البعض شكلا مزدوجا، أي سورين متوازين للزيادة في الاحتياط أو كضرورة فرضتها المناطق المنبسطة للوقوف في وجه الغارات المحتملة[2]، كما أنشأت مدن أخرى مماثلة كمدينة تنس المنفتحة على البحر من الجهة الغربية للمملكة، حيث يذكرها ابن الحوقل بقوله ((مدينة... بعضها على جبل قد أحاط به سور))[3]، ومدينة بونة الحد الشرقي للدولة التي بني سورها سنة 450هـ/1058م، وبسكرة وقسنطينة وتدلس(دلس)[4] .

أما المسيلة فتميزت بإحاطتها بسورين متوازيين، حيث ذكرها البكري على أنها ((...مدينة في بساط من الأرض عليها سوران))[5]، بعض المدن المذكورة شكلت الأطراف المختلفة لمدينة حمزة وبالتالي ستكون قد ساهمت في تأمين المنطقة وحركية النشاطات التي كانت سائدة آنذاك.

الأبراج والحصون:

(1) - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص123.

(2) - موسى هيصام الجيش الجزائري في العهد الحمادي، (405-547هـ/1014-1152م)، مديرية الثقافة لولاية المدية، 2008م، ص90.

(3) - أبو القاسم حمد النصيبي ابن الحوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، دت، ص78. انظر أيضا البكري، المصدر السابق، ص61.

(4) - موسى هيصام، المرجع السابق، ص92.

(5) - البكري، المصدر السابق، ص59.

تبنى الأبراج والقلاع عادة في شكل بنايات عسكرية تنشأ على أطراف الأسوار أو بداخلها، وتكون غالبا على المناطق المرتفعة، أما الحصون تقام عادة بمعزل عن المدن، لقد أخذت هذه الأبراج والحصون أشكالا هندسية متعددة، فمنها من أقيم على شكل مثمن كبرج تامنفوست، ومنها النجمية، كبرج النجمة بالجزائر العاصمة والمستطيلة كبرج مولاي حسن، والمربعة كبرج الحراش[1].

من حيث **الموقع**، بني حصن واد البارد بمنطقة سهلية، ورغم ذلك يستطيع الإنسان أن يراقب كل المنطقة المحيطة دون عناء خاصة من سطح الحصن، ويعتبر هذه النوع من الأبراج البرانية، لأنه بني خارج الأسوار وبشكل مستقل وهذا النوع ابتكار موحدي استطاع أن يثري هندسة البرج المغربي بالإضافة إلى التأثيرات المحلية[2].

أما من حيث **التخطيط** حصن واد البارد يشبه في تخطيطه العام برج معسكر الذي بناه "الباي بن إسحاق إبراهيم المليانى"سنة 1176هـ/ 1762م[3]، الجدير بالذكر أن مركزي الحراسة في "برج معسكر" ذات شكل مضلع، كماهو الشأن في حصن واد البارد.

مكونات الحصن:

حصن واد البارد يحتوي على مجموعة من الغرف المتعددة الوظائف منها:

المصلّى:

هذا الأخير يظهر جليا في برج واد البارد، حيث وقفنا على المحراب في إحدى غرف البرج (الصورة: 04).

الغرف:

احتوى برج واد البارد على أربع غرف من بينهم المصلى، الذي لا يزال يحافظ على معالم المحراب. **مراكز الحراسة:**

(1) - علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الحديثة في الجزائر، وزارة الثقافة، 2008م، ص91 انظر أيضا راجعي (زكية)، "برج حمزة "، محاضرة ألقيت بمناسبة اليومين الدراسيين حول برج حمزة من تنظيم مديرية الثقافة لولاية البويرة، 21/22/مارس/2007م.

(2) – نفسه، ص13.

(3) - نفسه، انظر المخطط، ص ص193-194.

مراكز الحراسة:

مراكز الحراسة ببرج واد البارد جاءت على شكل مضلع عددها اثنين أحدهما احتل الجهة الجنوبية والثاني الجهة الشمالية للبرج .

المخازن:

حسب التقسيمات الأساسية للحصون فانه بالضرورة توجد مخازن لحفظ المئونة والبارود.

الأبواب:

تعتبر الأبواب همزة وصل بين المدينة و أرباضها أو خارج الأسوار وبين القلاع والحصون والبروج وما يحيط بها ولهذا اتسمت بالقوة والمتانة، حيث أخذت هذه الأبواب أنماطا وأشكالا مختلفة، فبالنسبة للمدخل الرئيسي لحصن واد البارد، أدخلت عليه ترميمات حديثة، لأن البرج محاط بسور خارجي زود بباب خشبي ذو ضلفة واحدة، لكن بعد احتلاله من طرف أحد العساكر الفرنسيين أعيد بناء المدخل بتقنية جديدة المتمثلة في سور يعلوه سياج معدني يتوسطه باب من مصراعين مصنوع من مادة الحديد، ولم يبق الأمر على حاله، حيث تعرض البرج مرة أخرى إلى تغيرات من طرف قاطنيه الحاليين، حيث تم الاستغناء نهائيا عن المدخلين السابقين وأستحدث مدخل جديد بالقرب من مركز الحراسة الجنوبي.

النوافذ:

لقد وجدت النوافذ المعقودة بشكل لافت للانتباه بحصن واد البارد(الصورة:09)

فتحات الرمي

ما يميز العمارة العسكرية الدفاعية فتحات الرمي، حيث تختلف أشكالها بسبب الاختلاف في الأسلحة الدفاعية والهجومية، فهي تنقسم إلى قسمين:

فتحات المدافع:

وهي ذات شكل شبه منحرف، قاعدته الكبرى بالجزء الخارجي بالجزء الخارجي للجدار، بينما تتجه القاعدة الصغرى نحو الداخل، وهذا لتسهيل وتوسيع زاوية الرمي

وسهولة المناورة وتتميز بكبرها[1] وجدت بمعدل فتحة واحدة معقودة في مركزي الحراسة ببرج واد البارد.

المزاغل:

وهي عبارة عن تجويف ذي شكل مستطيل، ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل، لتسهيل عملية التصويب والمراقبة، حيث تعطي حرية أكبر للمدافع بالحركة، وهذه الفتحات وجدت على جدران حصن واد البارد.

خاتمة:

نستنتج مما تقدم ذكره، أن حصن واد البارد من المعالم العسكرية، التي بنيت في نهاية الفترة العثمانية، حيث عكس مخططه العام ووحداته المعمارية مميزات العمارة العسكرية العثمانية.

-الحصن تحفة معمارية متفردة، اذا ما قارناه مع ما تتوفر عليه الجزائر من معالم من هذا النوع.

-يعكس تواجده بالمنطقة، الحالة الأمنية التي كانت سائدة آنذاك، أي خلال الفترة العثمانية

-مواد البناء المستعملة في بنائه، هي مواد محلية، مما يبرز تكيف المعمار مع بيئته.

-الحصن وسيلة هامة للتأريخ لتواجد العثمانيين بالمنطقة، لذا يجب المحافظة عليه، وذلك من خلال تصنيفه ضمن قائمة التراث الثقافي الوطني، وترميمه للإطالة من عمره، واستغلاله في اطار السياحة الثقافية، التي باتت عصب الاقتصاد في زمننا هذا، خاصة والحصن يقع في منطقة سياحية بامتياز، وعليه أقترح نزع الملكية للخواص وضمه للممتلكات الثقافية الوطنية، طبعا بعد تعويض مالكيه وفق القانون المتعلق بحكاية التراث الثقافي 98/04م .

(1)- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 255.

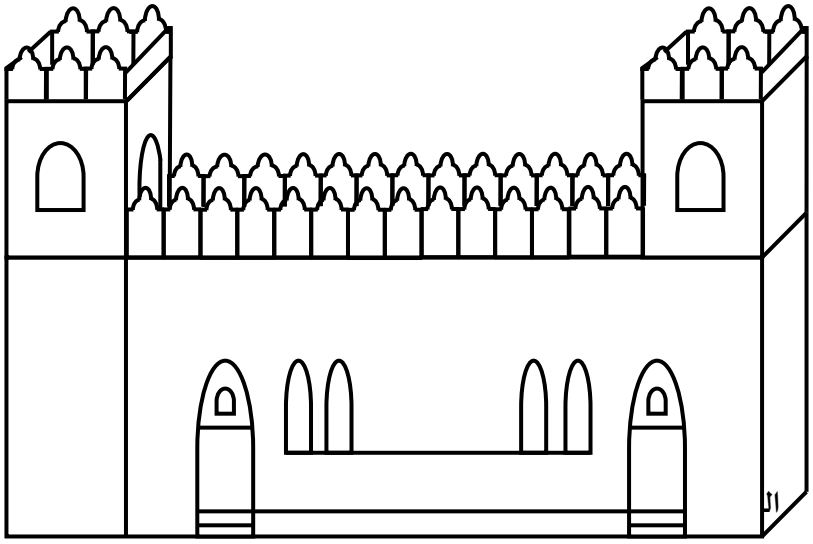

المخطط رقم 01: منظر من سطح الحصن/عن الباحثة

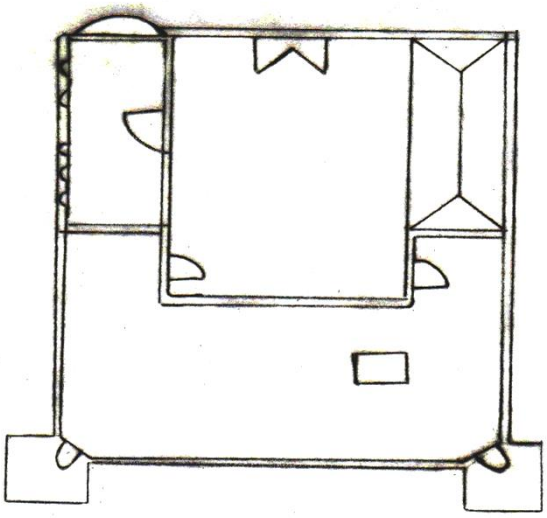

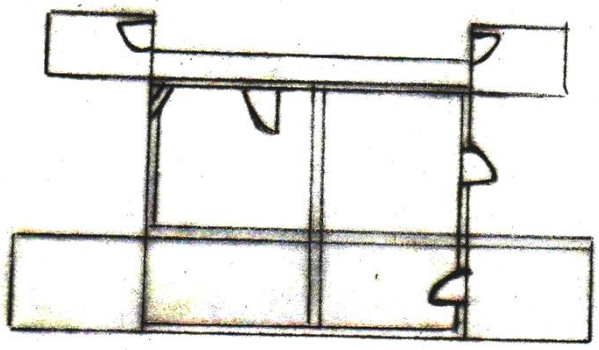

المخطط رقم 02:الغرف الأرضية لبرج واد البار/عن الباحثة

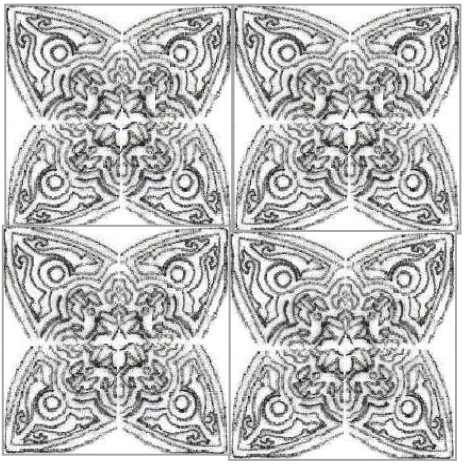

الشكل رقم 02: بلاطات خزفية حديثة بإحدى غرف الحصن /عن الباحثة

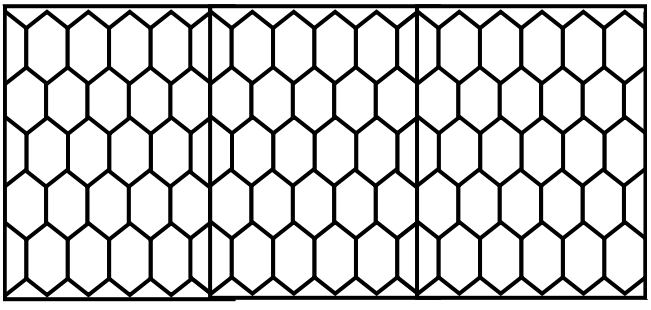

الشكل رقم 03:بلاطات خزفية تبليطية في بعض غرف الحصن /عن الباحثة

الصورة رقم 01: منظر عام للحصن

الصورة رقم 02: إحدى واجهات الحصن الشرقية

الصورة رقم 03: إحدى مراكز المراقبة بالحصن

الصورة رقم 04: المحراب بإحدى الحصن

الصورة رقم 05: مدخل مركز المراقبة

الصورة رقم 06: سطح الحصن

الصورة رقم 07: أحد أبراج المراقبة

الصورة08: أرضية سطح الحصن

اللوحة رقم 01: زليج حديث بغرف حصن واد البارد

الصورة رقم09: نموذج من نوافذ الحصن

الصورة رقم 10: أحد أبواب غرف

الصورة رقم 11: شرافات سطح الحصن

الصورة رقم12: المدخل الذي أستحدث من طرف المستدمر بالحصن

الصورة رقم 13: إحدى غرف الحصن

الصورة رقم 14: السقف المائل لإحدى غرف الحصن

الصورة رقم 15: فرن تقليدي بالحصن

الصورة رقم:16:بائكة تم غلقها من طرف مالكي الحصن

اللوحة رقم 02: بقايا السور المحيط بحصن واد البارد

اللوحة رقم 03: غرفة المصعد إلى سطح حصن واد البارد

الصورة رقم 17: رواق الحصن

الصورة رقم 18:مزاغل برج المراقبة بالحصن

المصادر والمراجع:

المصادر:

القرآن الكريم

- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.

-أبو القاسم حمد النصيبي ابن الحوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، دت.

المراجع:

-عبد الأحد السيتي، حليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994م.

-علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الحديثة في الجزائر، وزارة الثقافة، 2008م.

-محمد عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.

-موسى هيصام الجيش الجزائري في العهد الحمادي، (405-547هـ/1014-1152م)، مديرية الثقافة لولاية المدية، 2008م.

-ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م.

الملتقيات:

-زكية راجعي، برج حمزة "، محاضرة ألقيت بمناسبة اليومين الدراسيين حول برج حمزة من تنظيم مديرية الثقافة لولاية البويرة، 21/22/مارس/2007م.

-وثائق:

-وثائق خاصة بالسيدة "عيساوي حجيلة" مالكة الحصن أثناء زيارتنا الميدانية للحصن بتاريخ 19/نوفمبر/2009م.